أَلدَّلَالَةُ الصَّوْتِيَّةُ فِي سُورَةِ نُوحٍ عليه السلام

قيصر حسن قاسم

كلية الاداب – جامعة البصرة

فحوى البحث

إنّ أغلب الدراسات والكتب اللغوية تقر بأن الصوت الإنساني يشكل المادة الأولى، وتعد الدراسات الصوتية قديماً من أصل العلوم عند العرب؛ لأنها اتصلت مباشرة بتلاوة القرآن الكريم ولضبط أدائه؛ لذا جاءت هذه الدراسة مسلِّطة الضوء على دلالة الصوت اللغوي في النص القرآني آخذة سورة نوح أنموذجا بوصفها سورة من السور المكية التي تنماز بالقرع والشدة؛ لأنها تخاطب قوماً كافرين لاسيما إذا علمنا تأثير الصوت في نفوس هؤلاء.

وقد كان الهدف من هذه الدراسة، معرفة وتثبيت دور الأصوات اللغوية في ابراز الدلالة الصوتية، وأن القرآن قاصد حين وضع صوتا من دون آخر المعنى الذي يريده-سبحانه-.

ملخص البحث:

لما كان القرآن كتاباً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وما فيه صادر من الله تعالى، فهو مقصود وموجه لهداية البشرية جمعاء، وسورة نوح من السور المكية فهي متضمنة لموضوعات تعنى بها هذه السور، ومن هذه الموضوعات: الإلوهية، والوحدانية، والأحكام.

إنّ أغلب الدراسات والكتب اللغوية تقر بأن الصوت الإنساني يشكل المادة الأولى، وتعد الدراسات الصوتية قديماً من أصل العلوم عند العرب؛ لأنها اتصلت مباشرة بتلاوة القرآن الكريم ولضبط أدائه؛ لذا جاءت هذه الدراسة مسلطة الضوء على دلالة الصوت اللغوي في النص القرآني آخذة سورة نوح أنموذجا بوصفها سورة من السور المكية التي تمتاز بالقرع والشدة؛ لأنها تخاطب قوماً كافرين لاسيما إذا علمنا تأثير الصوت في نفوس هؤلاء.

والمستوى الصوتي من أهم المستويات اللغوية في نفس المتلقي؛ لذا لاقى اهتماماً خاصاً من المشتغلين باللغة، وقد اتضح لي أنّ الباث عليه أن ينتقي الأصوات المناسبة ليكون مؤثرا في المتلقي، ومن هنا كان الفرق واضحاً بين باث وآخر، وهذا ما وُضّح جلياً في النص القرآني، حيث القائل هو الله تعالى فهو يختار الصوت المناسب في المكان المناسب.

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة على عباده الذين اصطفى وبعد: فإنّ الدرس الصوتي من الدروس التي تناولها السلف الصالح، وأعطوها أهمية واضحة وذلك من خلال تناولهم ذلك الدرس بالشرح والتوضيح؛ لما له من الدور الواضح في إبراز الجوانب الدلالية في إي نص، ولاسيما النص القرآني، فقد أجمع اللغويون على أن النص القرآني قاصد لما يقول سواء أكان من الناحية التركيبية أم الناحية الصرفية أو من الناحية الصوتية موضوع البحث، فالدلالة الصوتية لها دور واضح في بيان المقصد القرآني؛ وذلك من خلال توظيف الأصوات اللغوية، وقد كان الهدف من دراستي والتي أسميتها (الدلالة الصوتية

في سورة نوح) هو معرفة وتثبيت دور الأصوات اللغوية في إبراز الدلالة الصوتية وأن القرآن قاصد عندما يضع صوتاً ولا يضع صوتاً آخر بحسب السياق والموقف الذي وضع من أجل توصيل فكرة معينة إلى ذهن المتلقي الواعي الفاهم للنص القرآني، ومن أجل ذلك فقد قسمت بحثي إلى فقرات فبدأ الباحث بالجانب النظري والذي تمثل في إعطاء فكرة عن الدلالة من تعريف لغوي واصطلاحي، وتناول لفظ الدلالة في القرآن الكريم، ثم عرف الباحث الصوت لغة واصطلاحا، ومن بعد ذلك ذهب إلى الجانب التطبيقي والذي كان عن الدلالة الصوتية لسورة نوح المباركة فبين الباحث بعض الظواهر الصوتية ودورها في إبراز الدلالة الصوتية، فبدأت بدلالة التنغيم في السورة، ومن ثم دلالة الفواصل الصوتية، وبعد ذلك دلالة التكرار، ومن ثم دلالة الأصوات الانفجارية والاحتكاكية، ودلالة النبر، وقد ختم الباحث تلك الدلالات بدلالة المقطع الصوتي، وقد أتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي.

الدلالة لغةً: من خلال مراجعة المعاجم اللغوية لمعرفة المعنى اللغوي للدلالة تبين أن معنى الدلالة يتراوح بين الإبانة، والاضطراب، والتدلل، والدليل، والانبساط، والهداية، وغيرها من المعاني ففي معجم مقاييس اللغة: ((دلّ: الدال واللام أصلان، أحدهما إبانة الشيء بأمارة تتعلّمها، والآخر اضطراب في الشيء، فالأول قولهم: دللتُ فلاناً على الطريق، والدليل: الأمارة في الشيء، وهو بيِّنُ الدلالة، والدلالة (بفتح الدال وكسرها) والأصل الآخر قولهم: تَدَلْدَلَ الشيء، إذا اضطرب... ومن الباب دلال المرأة وهو جرأتها في تغنجٍ وشكلٍ، كأنها مخالفة وليس بها خلاف، وذلك لا يكون إلا بتحايل واضطراب، ومن هذه الكلمة: فلان يدلُّ على أقرانه في الحرب، كالبازي يدلُّ على صيده، ومن الباب الأول قول الفرّاء عن العرب: أدلّ يُدِل إذا قرب بقرابة))[1].

- **الدلالة اصطلاحاً**: حيث وردت عدة تعريفات لعلم الدلالة منها ((يتناول

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن منظور، باب الدال فصل دل.

علم الدلالة العام بالشرح والتفسير، مع الاهتمام بمسائل الدلالة وقضاياها، ويدخل فيه كل رمز يؤدي معنى خاصاً لغوياً كان ذلك أم غير لغوي مثل الحركات، والإشارات، والهيئات، والصور، والألوان، والأصوات غير اللغوية وغير ذلك من الرموز التي تؤدي دلالة في التواصل الاجتماعي))[٢].

والواضح من هذا التعريف أنه ((تعريف عام وشامل لكل رمز ثم الاصطلاح على دلالته لدى بيئة اجتماعية ما، وبناءً عليه فإن علم الدلالة العام يأخذ على عاتقه دراسة العلاقة بين أي رمز ومعناه))[٣].

وهناك تعريف آخر لعلم الدلالة، ذلك التعريف الذي يقابل المصطلح الإنكليزي "semantics" فهو ((يدرس العلاقة بين الرمز اللغوي ومعناه، ويدرس معاني الكلمات تاريخياً، وتنوع المعاني، والمجاز اللغوي، والعلاقات بين كلمات اللغة))[٤].

وهذا التعريف يبيّن ما للكلمة ومعناه من علاقة، فمتى ما تطلق الكلمة تتبادر إلى الذهن دلالتها، ولم يكتفِ الدكتور محمد السعران بأن جعل علم الدلالة تابعاً وفرعاً من فروع علم اللغة العام، بل عدّه غاية الفروع الأخرى قائلاً في كتابه: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ((أنه غاية الدراسات الصوتية، والفونولوجية، والنحوية، والقاموسية، إنه قمة هذه الدراسات))[٥] إلا أن علماء المعاجم قصروه على مجال واحد، فهم يعرفون علم الدلالة بأنه ((ذلك الفرع من علم اللغة الذي يقوم بدراسة المعنى المعجمي))[٦].

أما الباحث فيذهب مع رأي الدكتور السعران بأنّ علم الدلالة هو غاية الدراسات اللغوية.

- **لفظ الدلالة في القرآن الكريم**: فقد ورد لفظ الدلالة (دلّ) ومشتقاته في القرآن الكريم ((ثماني مرات في مواضع مختلفة

(٢) الدلالة اللفظية، محمود عكاشة، ص ٤ –٥.
(٣) الدلالة الصوتية في القرآن الكريم، د. ماجد النجار، ص ٢٥.
(٤) معجم علم اللغة النظرية، محمد علي الخولي، ص٢٥١.
(٥) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمد السعران، ص٢٦١.
(٦) الكلمة دراسة لغوية معجمية، حلمي خليل، ص١٢٩.

وبصيغ متباينة))[٧]. فقد ورد مرة واحدة بصيغة الاسم في قوله تعالى في سورة الفرقان ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾ [سورة الفرقان: ٤٥].

وفي صيغة الفعل الماضي مرتين، مرة في سورة سبأ ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ [سورة سبأ: ١٤]، ومرة في سورة الأعراف ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [سورة الأعراف: ٢٢]، وخمس مرات بصيغة الفعل المضارع في كل من الآيات في قوله تعالى ﴿ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴾ [سورة طه: ٤٠]، وقوله تعالى ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ [سورة طه: ١٢٠]، وقوله تعالى ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴾ [سورة القصص: ١٢]، وقوله تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۙ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [سورة سبأ: ٧]، وقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [سورة الصف: ١٠].

- **الصوت لغةً**: ((الجرس، والجمع أصوات)، وقال ابن السكيت: صوت الأنسان وغيره، والصائت: الصائح، ورجل صيت: أي شديد الصوت))[٨].
- **والصوت اصطلاحاً**: ((كيفية للهواء يحملها إلى الصماخ))[٩]، وعرفه ابن جني في كتابه الخصائص: ((عرض يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً حتى يعرض له في الحلق والفم والتنفس مقاطع تثنيه

(٧) الدلالة الصوتية في القرآن الكريم، ص٢١.

(٨) لسان العرب، مادة الصوت.

(٩) التعريفات، الشريف الجرجاني، ص١٤٠.

عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً، وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها))[10]، وكذلك عرفه إبراهيم أنيس بقولـه ((الصوت ظاهرة طبيعية ندرك أثرها قبل أن ندرك كنهها))[11].

والصوت الذي ندرسه له قسمان:

١. الدراسة العلمية للصوت من ناحية وصف مخارجه.

٢. يعني بدراسة صفة الأصوات في المعنى اللغوي، أي الدور الذي يؤديه الصوت داخل التركيب والسياق، ويطلق عليه علم الأصوات الوظيفي هذا من جهة، ومن جهة أخرى فهي تركز على ما يسمى بالإيقاع والموسيقى الداخلية من نبر وتنغيم ووقف وغيرها.

وما يعنينا من هذا الدراسة (الدلالة الصوتية في سورة نوح) هي ((الدلالة الصوتية حيث يتم فيها البحث عن الدور الذي تقوم به الأصوات لتحديد الدلالة مثل وضع صوت مكان آخر))[12].

فالباحث عليه أن ينتقي الصوت المناسب والمتناسق؛ ليكون أكثر تأثيراً في المتلقي، ومن هنا يكون الفرق بين باث وآخر.

الدلالة الصوتية في سورة نوح:

بعد أن انتهيتُ من الجانب التنظيري لموضوع الدلالة الصوتية أتيتُ إلى الجانب التطبيقي، ولما كانت الدراسة تحليلاً صوتياً في كتاب الله العظيم، ذلك الكتاب المقصود بمعانيه وكل شيء فيه بما في ذلك الأصوات، حيث يضع الله تعالى فيه كل صوت تبعاً للموقف والسياق، فلكل صوت دلالة خاصة تماشياً مع المواقف، حيث تكون الأصوات الواردة في هذا الموضع أو ذاك من السورة المباركة تدل على المراد فمثلا في موقف الإنذار يستعمل الباري عز وجل أصواتاً تنسجم وحالة عدم الرضا تجاه القوم نتيجة عدم إيمانهم بما يأتي به نبيهم من النصيحة، فالصوت القرآني قاصد وموظف توظيفاً ينسجم والسياق الذي وجد فيه، حيث ((أن

(١٠) الخصائص، ابن جني، ج١ ص٣٣.

(١١) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص٥.

(١٢) علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص٦٣.

الصوت القرآني قد تم توظيفه -بجميع مستوياته وبشكل دقيق -لخدمة المعنى الـذي أُفـرغ فـيـه))[١٣]، وقبل الذهاب إلى معرفة دلالـة الأصـوات في السورة المباركة، لابد من معرفة أن لكل صوت من الأصوات اللغوية صفاته الخاصة به وملامحه التي تميزه عن غيره من الأصوات الأخـرى، تلك الصفات والملامح التي تكمن في الأصوات اللغوية كي تكسبها مميزات صوتية قد تكون عوامل قوة أو ضعف في تلك الأصوات الداخلة، وهذه تسمى عوامل داخلية في النص فـ ((هذه الملامح التي تكمن في الصوت اللغوي ذاته الخارجة على إرادة الكاتب واختياره، تكمن قوة الصوت أو ضعفه))[١٤]، وهذا العوامل هي «الجهر والهمس، والتكرار، والـتـفـخـيـم والـتـرقـيـق، والأصـــوات الانفجارية والاحتكاكية.

وهناك عوامل أخرى يجب توافرها في النص حتى يمتلك عناصر القـــوة وهي العوامل الخارجية والتي بتوافرها إلى جانب العوامل الداخلية المؤثرة في الـصـوت داخـل النص سيخرج النص متكامـــلا، ولعل ابـرز تلك العوامل الخارجيـــة تلك القوالب والتشكيلات التي يضع فيها الباث دلالاتـه؛ وذلك من خلال مؤثرات خارجية يطلق عليها الفونيمات غير التركيبيـة، والتي لها دور مهم في التشكيـــل الصوتي للنص على اعتبارها ((ملامح صوتية إضافية، تؤثر في الأصوات الكلامية، أو مجموعاتها))[١٥]، ولعل أبرزها: التنغيم، الفواصل الصوتية، النبر، المقطع، فلو جئنا إلى سـورة نوح المباركة وتناولنا بعض الظواهر الصوتية ولنبدأ بما يلي:

- **التنغيـــم**: يعد التنغيم من الملامح المميزة التي لها الأثر في قـــوة الصوت داخل النص والتنغيم اصطلاحـا ((هو موسيقى الكلام... التي تصنع كلاً متناغم الـوحـدات والجـنـبـات))[١٦]، وقـد عّده الدكتور كمال بشر ((قمة الظواهر الصوتية

(١٣) الدلالة الصوتية في القرآن الكريم، ص ٩.
(١٤) التحليل الصوتي للنص بعض قصار سور القرآن الكريم أنموذجاً، مهدي عناد قبها ص٩.

(١٥) اسس علم اللغة، ماريو باي ص، ٩٢.
(١٦) علم الأصوات د٠ كمال بشر ص، ٥٣٣.

التي تكسو المنطوق كله))[17] فلو تتبعنا السورة المباركة لوجدنا التنغيم واضحاً فيها، وقد أعطى قوة داخل النص المبارك ففي قوله تعالى ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [سورة نوح: ١] نرى الوعد والوعيد واضحاً من خلال ظاهرة التنغيم، مثلما يقول لك شخصٌ يا هذا أو يا فلان يجب أن تلتزم بالصلاة والعبادة فأن عدم الالتزام سيؤدي بك إلى الهاوية ونزول العذاب، حيث تكشف لنا ((أن مواقفها وأحداثها تحوم على (إنذار) مباشر، وعلى(عقاب) متوقع: في حالة عدم جدوى الإنذار))[18] فلو تتبعنا السورة المباركة لوجدنا ظاهرة التنغيم منتشرة ومتواترة حيث بلغ التواتر في التنغيم ما يقرب ٧٠ بالمئة أو أكثر، فالجملة الواحدة قد يتنوع معناها بتنوع صور نطقها وموسيقاها وطرق تنغيمها، فمن خلال تنغيم الآيات المباركات تتضح معانٍ تتناسب وحالة الإنذار وعدم الرضا والوعيد الذي سيحصل نتيجة عدم انصياع القوم لما أراده نوح عليه السلام وكذلك التنغيم واضح في قوله تعالى على لسان نوح ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ﴾ [سورة نوح: ٢] فالتنغيم جاء على لسان نوح بصورة المنذر من نزول العذاب، فدلالة التنغيم في بيان المعاني المرادة والمعبرة عن حالة الإنذار واضحة جداً في أغلب مفاصل السورة المباركة.

وفي قوله تعالى ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا﴾ [سورة نوح: ٨] فحالة التنغيم حاضرة في قول نوح عليه السلام كأنه يصور حالة الدعوة وتكرارها وقد بينه التنغيم في الآية المباركة، هذه انموذجات لظاهرة التنغيم البارزة في السورة المباركة، مع ملاحظة أمر مهم، نحن كمحللين لا نجزم بقصد الباث ولاسيما إذا كان النص صادراً من الباري عز وجل فنحن نعمل بمبدأ الفرضية التي تحتمل الأخذ والرد، لكن نحلل وفق منهج خاص بكل مستوى بما في ذلك المستوى الصوتي والله العالم.

دلالة الفواصل الصوتية: الفاصلة هي ((الوقفة والاستراحة وأخذ

(١٧) المصدر نفسه، ص٥٣١.

(١٨) دراسات فنية في قصص القرآن الكريم، محمود البستاني، ص ٧٠٨.

النفس))[١٩] أو هي ((عبارة عن سكتة خفيفة بين كلمات أو مقاطع... بقصد الدلالة على مكان انتهاء لفظ ما، أو مقطع ما، وبداية آخر))[٢٠] فمن خلال هذه التعريفات يتبين أن الفاصلة تفصل آية عن أخرى او مقطعاً عن آخر لغرض التنفس أو الاستراحة وبالتالي يحقق دلالة، وان الغرض من هذه السكتة الخفيفة هو أن ((تضبط الحركة الصوتية في النص وتنظمها؛ محققة بذلك عمل انتقال الإصبع من وتر إلى وتر))[٢١]، فلو تتبعنا الفواصل الصوتية في سورة نوح لوجدنا تناغماً واضحاً ومعبراً بين طولها وطول الدعوة والإنذار من نوح، وكثرة الإصرار والاستكبار والعناد من جانب قومه، حيث وجدنا أن السكتة أو الوقفة بين الآيات أدّى غرضاً دلالياً فالملاحظ في السورة المباركة أن فواصلها جاءت طويلة وأن هذا الطول جاء مناسباً لطول فترة النبي نوح مع قومه، وكذلك لطول فترة الدعوة، فضلاً عن طول أناة الله وطول حلمه على القوم العصاة المذنبين، فدلالة الفاصلة الصوتية واضحة من خلال جميع آيات السورة المباركة فكلها فواصل طويلة إلا آيتين تقريباً وهما قوله تعالى ﴿ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴾[سورة نوح: ٢٠] وكذلك قوله تعالى ﴿ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴾[سورة نوح: ٢٢] فقد جاءت قصيرة، وقصرها جاء مناسباً لقصر مكر القوم الظالمين تجاه مكر الله تعالى، والله العالم.

- **دلالة التكرار**: ومن العوامل الصوتية المؤثرة داخل النص هو التكرار وهو من الملامح الصوتية التي أمتاز بها الصوت العربي ((وصوته العربيّ المتفرد به، هو الراء؛ لأنّ التقاء طرف اللسان وحافة الحنك، مما يلي الثنايا العليا، يتكرر في النطق بها كأنما يطرق طرف اللسان حافة الحنك طرفاً ليّناً يسيراً، مرتين أو ثلاثاً، لتتكون الراء العربية))[٢٢]، وقد أجريتُ مسحاً للتكرار في السورة المباركة، فوجدتُ أن الراء قد تواترت في نهاية الآيات حوالي

(١٩) علم الأصوات، ص ٥٥٣.
(٢٠) أسس علم اللغة، ص ٩٥.
(٢١) التحليل الصوتي للنص، ص٢٤.
(٢٢) الأصوات العربية، إبراهيم أنيس، ص٢٢.

سبعة عشر مرة، ففي قوله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾[سورة نوح: ٥] وأن تكرار الراء جاء مناسباً لحالة تكرار الدعوة المباركة من نوح عليه السلام لقومه، وان هذه الدعوة ليل نهار متكرر فجاء صوت الراء منسجماً وحالة الدعوة في الليل والنهار ولكن دون جدوى، وفي قوله تعالى ﴿ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴾[سورة نوح: ٦] وكذلك هذه الآية المباركة صورت حالة التكرار الذي أستخدمه قوم نوح من دعوته وهو الفرار المتكرر فكلما دعاهم نوح وأكثر من الدعوة وكررها قابله فرار متكرر فنلاحظ حالة من الانسجام بين هذه الآية والآية التي قبلها، وهي تكرار الدعوة وتكرار الفرار، وفي الآية اللاحقة أيضاً نجد التكرار وهذه المرة ورد ثلاث مرات متتابعة، حيث يقول الله تعالى ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾ [سورة نوح: ٧] فمن ملاحظة هذه الآية نجد تكرار كلمات (وأصروا، واستكبروا، واستكبارا)، وهذا يصور لنا حالة الإصرار المتكرر عن قبول الدعوة الموجهة من نوح، وكذلك تكرار الاستكبار من القوم، فجاء تكرار الراء منسجماً مع حالة تكرار الإصرار والاستكبار، ثم جاءت الآية التالية في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴾[سورة نوح: ٨] فقد أعطى تكرار الراء انسجاماً وحالة دعوة نوح عليه السلام مع قومه حيث كان يدعوهم مرارا جهارا، فلم يزدهم دعاءه ألا فرارا، وكذلك الآيات ﴿ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾[سورة نوح: ٩ -١٤] فهي تصور حالات متعددة من التكرار وقد أعطى صوت الراء انسجاماً مع الحالات كلها مثل تكرار المغفرة من الله تعالى على الرغم من إصرار العبد على المعصية، وإرسال الله تعالى السماء مدرارا ليصور حالة نزول المطر بصورة متكررة ومتواصلة، إمداد الباري لعباده بالأموال والجنات والأنهار، وقد صورت أيضاً حالة خلق المخلوقات بصورة أطوار دليل على

تكرار الخلق، أما بخصوص تواتر الراء في جميع السورة فقد ورد صوت الراء حوالي أربع وأربعون مرة وهذا جاء منسجماً مع جميع الحالات من تكرار الدعوة وتكرار الفرار وتكرار نزول الخير وكثرة قبول المغفرة وغيرها من الحالات التي وردت في السورة المباركة، فهذه السورة كلها تقص قصة نوح عليه السلام مع قومه ((وتصف تجربة من تجارب الدعوة في الأرض، وتمثل دورة من دورات العلاج الدائم الثابت المتكرر للبشرية))[٢٣] وكان لصوت الراء الدور البارز لعملية التكرار، والتكرار يولد لنا إيقاعاً صوتياً واضحاً والله العالم.

- **دلالة الأصوات الانفجارية والاحتكاكية:** وهنا سأتكلم عن ميزة أخرى موجودة في الأصوات العربية، حيث تُعد أحدى عوامل القوة الداخلية في الصوت داخل النص، فالصوت الانفجاري يتكون ((بأن يحبس مجرى الهواء الخارج من الرئتين، حبساً تاماً في موضع من المواضع، وينتج عن هذا الحبس، أو الوقف أن يُضغط الهواء ثم يطلق سراح المجرى الهوائي فجأة، فيندفع الهواء محدثاً صوتاً انفجاريا))[٢٤] والسبب في قوة هذا الملمح ان الهواء يطلق بصورة مباشرة بعد حبسه وضغطه مما يولد صوتا جهوريا حيث ((تعتمدُ جهارُة الصوتِ على الشدّةِ (كميّةِ الطاقة)، التي تحمُلها الأمواجُ الصوتيّة))[٢٥]، والأصوات الانفجارية في اللغة العربية هي: الهمزة، والباء، والتاء، والدال، والضاد، والطاء، والقاف، والكاف))[٢٦]، وقد أجريت إحصائية بعدد الأصوات الانفجارية فقد كان تواترها مائة وثلاث وستين مرة وهي كمية صوتية تتطلب صوتاً عالياً ونفساً طويلاً لنطقها، والسبب في هذا التواتر الكبير في الأصوات الانفجارية، هو أن الموضوعات الكبرى للسورة تستوجب هذه الأصوات ولاسيما في المقامات التي تذكر بعاقبة المُنذَرين وتحقيق وقوع العذاب نتيجة عدم الانصياع للدعوة الموجهة من الأنبياء تجاه أقوامهم، فهذه المادة

(٢٣) في ظلال القرآن، سيد قطب، ص٣٧٠٦.

(٢٤) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص١٥٣.

(٢٥) التحليل الصوتي للنص، ص١٦.

(٢٦) المصدر نفسه، ص ١٦.

الصوتية مناسبة لهذا السياق الذي يتطلب حبس الصوت ووقفه، مع ملاحظة طغيان صوت الهمزة مقارنة ببقية الأصوات الانفجارية، حيث بلغ تواتره حوالي سبع وأربعين مرة، وجاء مناسباً لأغراض الآيات أن هذا الانتشار جاء ضرورياً لسياق وصف الدعوة المتكررة من نوح عليه السلام وكذلك لوصف النعم التي أنعمها الله تعالى على قوم نوح، إذ نجد أن الهمزة حرف شديد يُحدث هذا الصوت، بأن تسد الفتحة الموجودة بين الوترين الصوتيين؛ وذلك بانطباق الوترين انطباقا تاماً فلا يسمح للهواء بالنفاذ من الحنجرة فيضغط الهواء فيما دون الحنجرة ثم ينفرج الوتران فينفذ الهواء من بينهما فجأة محدثاً صوتاً انفجاريا[٢٧]، وتعد الهمزة بحسب طبيعة نطقها من أصعب الأصوات إخراجاً، وذلك بسبب ما يتطلبه نطقها من جهد عضلي يسببه الوتران الصوتيان وانطباقهما على بعضهما بإحكام إلى جانب الاحتقان والتوتر الناشئين عن قطع النفس فترة من الزمن إلى جانب ضغط الرئتين على الهواء ثم الانفتاح السريع للأوتار الصوتية وقد بدا صوت الهمزة واضحاً في قوله تعالى ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۖ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [سورة نوح: ١-٤] إذ بلغ تكراره اثنتي عشرة مرة، وهذا التكرار جاء مناسباً لحال الدعوة وبيان الإنذار، وكذلك في قوله تعالى ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ﴾ [سورة نوح: ٧]، فقد ورد صوت الهمزة أربع مرات ليناسب حالة الدعوة من نوح من جهة وحالة الإصرار والاستكبار من جهة قومه، إذن فدلالة الأصوات الانفجارية واضحة ولاسيما الهمزة فإنها يمكن ان تكون أم الأصوات الانفجارية أن صح التعبير، فهذه السورة ((تعرض صورة من صور الجهد المضني، والعناء المرهق، والصبر الجميل، والإصرار الكريم من جانب الرسل -صلوات الله

(٢٧) ينظر علم الأصوات، ص ٢٤٧.

عليهم –لهداية هذه البشرية الضالة العنيدة العصية الجامحة))[٢٨] وهذا ما جاء بواسطة الأصوات الانفجارية والهمزة بوجه الخصوص، وأن استثمار معنى الانفجار يوضح سياق الآيات وظلالها، والله العالم.

أما الصوت الاحتكاكي في اللغة العربية فيحدث ((عن طريق تضييق المجرى، إلى درجة تسمح بمرور الهواء، ولكن مع احتكاكه بجانبي المجرى محدثاً صوتاً مسموعاً))[٢٩].

إن التضييق بمجرى الصوت يعمل على ((زيادة تردد الأمواج الصوتية؛ وذلك بالتقليل من طولها من جهة، وبزيادة كمية طاقة الهواء الحركية الذي يحملها، لما يحدثه من ضغط واقع عليه، من جهة أخرى، وبهذا يكون ملمح الاحتكاك في الأصوات اللغوية ملمح قوة، يحفل به الصوت الذي يحمله))[٣٠] حيث بلغ عدد انتشار الأصوات الاحتكاكية في السورة حوالي اثنتين وتسعين مرة، وكانت الهاء أكثر الأصوات الاحتكاكية وروداً، إذ بلغ تواترها أربع وعشرين مرة، وجاء بعدها من حيث كثرة الانتشار صوت العين ثم السين، مع ملاحظة انتشار الأصوات الانفجارية والاحتكاكية تؤدي بصورة مباشرة إلى تقوية الصوت داخل النص اللغوي أو إضعافه دون تدخل الباث في ذلك؛ لأنها من العوامل الخارجة عن إرادته.

- **دلالة النبر**: ((النبْر عند العرب ارتفاع الصوت. يقال: نَبَرَ الرجلُ نبْرَةً إذا تكلم بكلمة فيها عُلُوٌّ))[٣١] ومن معانيه اللغوية الظهور والبروز أيضا.

إن من أجمل خصائص هذه اللغة أن أصواتها دلالية فالدلالة الصوتية وظيفتها الإفهام من خلال نظام صوتي يقوم على ثلاثة أمور مهمة: الحرف والنبر والتنغيم.

فالنبر هو ((قوة التلفظ وعلو الصوت ووضوحه نتيجة نشاط أعضاء النطق في وقت آخر، ينتقل النبر من مقطع إلى مقطع آخر من الكلمة على حسب تصريفها، وسوابقها ودواخلها ولواحقها

(٢٨) في ظلال القرآن، ص ٣٧٠٦.
(٢٩) أسس علم اللغة، ص ٧٨.
(٣٠) التحليل الصوتي للنص، ص١٦.
(٣١) لسان العرب، ص ٥٥٦٤.

التصريفية))[٣٢].

وللنبر قيم صوتيـــة (نطقية) وأخرى فنولوجية (وظيفيـــــة). فهو من الناحية النطقية ذو أثر سمعي واضح، يميز مقطعاً من آخر أو كلمة من كلمة أخرى.

أمـــــــا من الناحية الوظيفية فإن النبر يقود إلى تعرف التتابع المقطعي في الكلمات ذات الأصل الواحد، عند تنوع درجات نبرها ومواقعه؛ بسبب ما يلحقها من تصريفات مختلفة[٣٣].

ويقول عنه تمّام حسان: ((وهو وضوح نسبي لصوت أو مقطع إذا ما قورن ببقية الأصوات))[٣٤]، وإذا ما أتينا وطبقنا النبر على سورة نوح المباركة لوجدناه واضحاً ومناسباً للسياق والموقف، ففي قوله تعالى ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[سورة نوح: ١] ففي قوله تعالى ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا﴾ نجد التأكيد عل هـذا المقطع لأهمية إرسـال الأنبيـاء وكـذلـك التأكيد عـلى أن هذا الإرسال محصوراً به تعالى لا غير، وأيضاً جاء الضغط على مقطع "أنْ أنذر قومك" للتأكيد منه سبحانه على أهمية الإنـذار فأن بعد هذا الإنذار أن لم يستجب القوم لما يريده نبيهم سيأتي العذاب لا محالة، وهذا ما حصل في المقطع التالي وهو "من قبل أن يأتيهم عذاب أليم" وكذلك في قوله تعالى ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ﴾ [سـورة نـوح: ٢] فالنبر قـد أفـاد بأن نوح عليه السلام نذير مبين بقوله «إني لكم نذير مبين» وكذلك الآيـة التي بعدها ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾[سورة نوح: ٣] فجاء النبر ليؤكد ان العبادة محصورة ومختصة به تعالى وكذلك الطاعة له، إذن فالنبر قد حقق كثيراً من الضغط أو العلو ليعطينا اهتماما ببعض المقاطع او الكلمات لأهميتها في إبراز المعنى المراد والذي يريد الباث إيصاله، فكل آيات سورة نوح عليه السلام تحمل هذا الأمر لمناسبتها موقف الإنذار والدعوة ونـزول العذاب من الله تعالى من جهة، وموقف العناد والإصرار على المعصية، والاستكبار والمكر من قوم نوح

(٣٢) دروس في النظام الصوتي للّغة العربية، د. عبد الرحمن بن إبراهيم الفوزان ص٧٠.
(٣٣) ينظر علم الأصوات، كمال بشر، ص ٥١٤.
(٣٤) مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، ص١٦٠.

من جهة أخرى.

وهناك ظواهر صوتية أخرى قد أضفت على السورة المباركة جمالية واضحة، ودلالة مثل دلالة المقاطع الصوتية ((فكلما كان السياق مصوراً أو متحدثاً عن فعل شديد أو حركة سريعة، وجدنا مقاطع سريعة، أما إذا كان السياق يتحدث عن شيء عظيم وجدنا مساحة التفخيم من خلال مقاطع صوتية طويلة))[٣٥]، والملاحظ على سورة نوح المباركة أنها تتحدث عن شيء عظيم؛ ولهذا وجدنا مساحة التفخيم من خلال المقاطع الصوتية الطويلة، ومن الظواهر الأخرى في سورة نوح هي ظاهرة المدّ، فالمدُّ يعطي مجالاً واسعاً للصوت وقد جاء في السورة مناسباً لطول فترة الدعوة التي كان قد تمتع بها نوح عليه السلام في قومه، هذه بعض الظواهر الصوتية البارزة في السورة المباركة آمل أن أكون قد وُفّقتُ في تحليل الدلالة الصوتية لهذه السورة والله العالم.

(٣٥) سورة الفيل –دراسة صوتية، د رافع عبد الله مالو و د. عدنان أحمد عزة.

«الخاتمة»:

إنّ الأصوات علم تعرف به خفايا الكلمات، فمن خلال دراستي للدلالة الصوتية لسورة نوح المباركة، ومن دلالة بعض الظواهر الصوتية من قبيل النبر، والتنغيم، والفاصلة اتضح لي أنّ هذه الظواهر لها دور رئيس في فهم المعنى المستور، فالنبر مثلاً يكشف عن اهتمام الباث بذلك المقطع المنبور من اجل توجيه المتلقي حتى يصب تركيزه عليه، وكذلك في التنغيم تتضح خفايا ذلك القول ومعرفة أكثر من خيار نتيجة التحليل الصوتي لأي كلمة أو جملة أو خطاب.

وقد اتضح لي أنّ الباث عليه أن ينتقي الأصوات المناسبة ليكون مؤثرا في المتلقي، ومن هنا كان الفرق واضحاً بين باث وآخر، وهذا ما وُضّح جلياً في النص القرآني، حيث القائل هو الله تعالى فهو يختار الصوت المناسب في المكان المناسب.

والمقطع الصوتي من حيث قوته وضعفه تتحكم به العوامل الخارجية والداخلية، فعندما نرى مقاطع قصيرة، فهذا يعني أنّ الباث أراد الشدة، أما إذا

رأينا أن الباث قد استخدم مقاطع متوسطة وطويلة فهذا يعني انه أراد أن ينبه لأمر عظيم وهذا ما قد رأينا واضحاً في آيات سورة نوح المباركة.

والله الموفِق...

قائمة بأهم المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

١. أسس علم اللغة، ماريو باي، ترجمة أحمد مختار عمر وتعليقه، ط٨، القاهرة، عالم الكتب، (د. ت).

٢. الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ط٤، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٧م.

٣. التحليل الصوتي للنص بعض سور القرآن الكريم أنموذجاً، مهدي عناد قبها، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، ٢٠١١م.

٤. التعريفات، الشريف الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الإبياري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، (د. ت).

٥. دراسات فنية في قصص القرآن الكريم، د. محمود البستاني، ط١، دار البلاغة، بيروت، لبنان، (د. ت).

٦. دروس في النظام الصوتي للّغة العربية، د. عبد الرحمن بن إبراهيم الفوزان، www. angelfire. com / tx4 lisan / master_doct / sawtiyat / fawzan. pdf

٧. الدلالة الصوتية في القرآن الكريم، د. ماجد النجار، www. aqaedalshia. com / books / najjaryan /.

٨. الدلالة اللفظية، محمود عكاشة، ط١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٢م.

٩. سورة الفيل –دراسة صوتية، د. رافع عبدالله و د. عدنان أحمد عزة، بحث منشور في مجلة العلوم الإسلامية، ع١٣، مج٧، ٢٠١٣م.

١٠. الكلمة دراسة لغوية معجمية، حلمي خليل، الهيأة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ١٩٨٠م.

١١. علم الأصوات، كمال بشر، دار غريب، ٢٠٠٠م..

١٢. علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ط٥، عالم الكتب، (د. ت).